

الإبل في القرآن الكريم

دراسة تحليلية

إعداد

أ.م.د أحمد قاسم عبد الرحمن

كلية العلوم الإسلامية - الرمادي



المقدمة

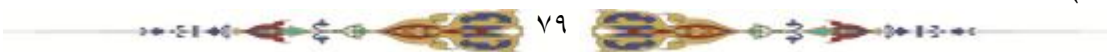
الحمد لله المانح من شاء ما شاء ، الغافر دون الشرك بحكم المشيئة لمن أساء ، والمصطفى من الجنس الإنساني الرُّسل والأنبياء ، ومن أتباعهم من جعلهم رُحماء بينهم وعلى الكفار أشداء ، ومن خلفهم ممن أثر الاهتداء والافتداء ، وجانب التنكب عن سبلهم الواضحة والاعتداء ، ولزم الجماعة عند افتراق ذوي الشقاق فحسم الداء ، وتمسك بالكتاب والسنة فمُنح الشفاء ، واستوضح الطريق بهما إلى الله تعالى وتحقق الإنباء ، وتدبر كتاب الله فشاهد المعجزة القاطعة والبراهين الساطعة وعرف الأنبياء ، وعلم مراده ٣ بقوله : **(وإنما كان الذي أوتيت وحياً) (١) فأعمل جهده في تدبره الفكر والاعتناء .**

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من وفق فالتزم بشروطها الوفاء ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى المعطى في القيامة المقام المحمود واللواء ، شهادة نرجو بها من شفاعته العظمى الحظوة والاعتناء ، وتجعل لنا من دار الخلد المصير والجزاء ، صلى الله عليه وعلى آله الحائزين في وفائهم بإتباعه السبق والثناء ، والأسوة والقُدوة لمن بعدهم جاء ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فان كتاب الله تعالى أحق ما أنفقت فيه النفائس الأعمار ، وقصر على اعتباره وتدبره الملوان الليل والنهار ، واعتمد موثلاً وملاذاً ، واعتصم بعروته الوثقى وزراً منجياً وعباداً ، واستنزلت به البركات ، واهتدي بواضحات أنواره عوالم الأرض والسموات . فهو الهدى والنور ، والشفاء لما في الصدور ، والواقى لمن تمسك به واعتلق بسببه من كل مخوف ومحدور ، والنعمة التي قصر عن الوفاء بشكرها كل مكتوب ومسطور ، وأتى يتصور الكفاءة وتوهم الوفاء بشكر : **(قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ) (٢) .**

١ (صحيح ، أخرجه احمد في "مسنده " ١٩٠/١٤ (٨٤٩١) و ٥١٥/١٥ (٩٨٢٨) والبخاري في "صحيحه" ١٨٢/٦ (٤٩٨١) باب :كيف نزل الوحي وأول ما نزل و ٩٢/٩ (٧٢٧٤)، ومسلم في "صحيحه" ١٣٤/١ (٢٣٩)(١٥٢) باب وجوب الإيمان برسالة ، عن أبي هريرة ، به .

٢ (سورة المائدة - من الآية : ١٥ .





أسباب اختيار الموضوع :

(١) الحيوان رفيق الإنسان في حياته ، فهو أما أن يكون أليفه ومعينه في حاجاته ولذا فهو يرعاه ويحبه ويتمسك بصحبته تمسك صاحب الحاجة بمن يُعينه عليها ، وأما أن يكون عدواً له مؤذياً إيّاه فهو يُحاول الخلاص منه والقضاء عليه بالوسائل التي يملكها عليه العقل والتبصر والتدبر .

ولهذا فقد ملأ الحيوان جوانب رحبة من نفس الإنسان ، وشغل العقل وحرك التفكير ، ولهذا وجدنا العرب منذ القدم يؤلفون في الحيوان ، فقد كتبوا عن الإبل^(١) ، والخيول^(٢) كما كتبوا عن الغنم والشاء والوحوش والطيور والحمام والحيات والعقارب والنحل .

وكان الغرض آنذاك من بعض تلكم الكتب أن تجعل كمعجمات لغوية خاصة بالحيوانات التي ذكرت فيها ، ولكنها مع ذلك لم تعدم الإشارات إلى حياتها وأحوالها .

ومهما كان الأمر فهو دال على مدى اتصال حياة العرب بالحيوان والاهتمام به ، وبما يدور عنه في اللغة أو في الأدب بصورة خاصة . ومن أشهر من ألف في الحيوان من القدماء الجاحظ والدميري والقزويني . وأهم ما يعيننا من كتبهم ، ومن كتاب الجاحظ خاصة - لأنه أكثرهم تفصيلاً وأجمعهم للحقائق العلمية عن الحيوانات - اعتماده على مصادر بعينها جعل القرآن الكريم أولها . فكان يذكر الآيات التي ورد فيها ذكر الحيوان ويحللها ويذكر ما يُستفاد منها في عرض أحوال تلك الحيوانات وعاداتها وصفاتها ، كما كان يعتمد على أحاديث الرسول ﷺ فيعرضها ويوضح ما يُستفاد منها في معرفة أحوال الحيوان وعلاقتها بالإنسان وفوائدها له أو ضررها^(٣) فكل ذلك مما دعاني إلى أن أكتب عن الحيوان فاخترت منها (الإبل) لما فيها من صفات سوف تمر بنا ، ولقد وردت لفظة الإبل

١ من أشهر من كتب عن الإبل النضر بن شميل المتوفى عام (٢٠٣هـ) ، وأبو عبيدة المتوفى عام (٢٠٩هـ) ، والأصمعي المتوفى عام (٢١٦هـ) ، وأحمد بن حاتم الباهلي المتوفى عام (٢٣١هـ) .

٢ (ومن كتب عن الخيل : ابن قتيبة المتوفى عام (٢٧٦هـ) ، وأبن الأعرابي المتوفى عام (٢٣١هـ) ، وأبو عبيدة ، وأبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي المتوفى عام (٢٤٥هـ) ، وأبو محمد بن هشام الشيباني المتوفى عام (٢٤٥هـ) ، وأحمد بن حاتم الباهلي .

٣ (التشبيهات القرآنية والبيئة العربية - واجدة مجيد الأطرقي : ١٧١-١٧٢ .



في القرآن الكريم مرتين ، مرة في سورة الأنعام ، ومرة في سورة الغاشية ، ووردت ضمناً في سورة الزمر (١) .

(٢) مدى ألفة العرب للحيوانات واتصال حياتهم بها وتوقفهم عليها ، مما أوضح في أذهانهم صفات هذه الحيوانات وأحوالها . فإذا ما شبهت بها الأشياء المعقولة التي لا يمكن أن تدرك بالحواس قربت الصفة في الأفكار وتوضحت في الأذهان ففهمت .

(٣) ورد ذكر الحيوان كثيراً في القرآن الكريم في غير مجالات التشبيه وأما ما جاء في ضمن التشبيهات القرآنية من الحيوانات فهي من أكثرها وجوداً في البيئة العربية، فقد شبه بالكلب^(٢) والحمار^(٣) والأنعام^(٤) والجمال^(٥) .

خطة البحث:

لقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه على مقدمة بينت فيها سبب اختياري الموضوع مع ذكر خطة البحث . وثلاثة مباحث وخاتمة .

المبحث الأول : الإبل في سورة الأنعام - الآيتان : ١٤٣ و ١٤٤ .

واشتملت دراسة الآيات على سبعة مطالب :

المطلب الأول : التحليل اللغوي - الآية : ١٤٣ .

المطلب الثاني : أسباب النزول - الآية : ١٤٣ .

المطلب الثالث : القراءات القرآنية - الآية : ١٤٣ .

المطلب الرابع : المعنى العام - الآية : ١٤٣ .

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي : ٣ .

(٢) سورة الأعراف - الآية : ١٧٦ .

(٣) سورة الجمعة - الآية : ٥ .

(٤) سورة محمد - الآية : ١٢ ، سورة الأعراف - الآية : ١٧٩ ، سورة البقرة - الآية : ١٧١ .

(٥) سورة المرسلات - الآية : ٣٣ ، سورة الواقعة - الآية : ٥٥ .



المطلب الخامس : التحليل اللغوي - الآية : ١٤٤ .

المطلب السادس : المعنى العام - الآية : ١٤٤ .

المطلب السابع : ما يُستفاد من الآيتين : ١٤٣ و ١٤٤ .

المبحث الثاني : ورد ضمناً بلفظ (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) في سورة الزمر، واشتملت دراسة الآية على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : المناسبة .

المطلب الثاني : المعنى العام .

المطلب الثالث : ما يُستفاد من الآية .

المبحث الثالث : الإبل في سورة الغاشية ، واشتملت دراسة الآية على ستة مطالب :

المطلب الأول : أسباب النزول .

المطلب الثاني : المناسبة .

المطلب الثالث : وجوه القراءات .

المطلب الرابع : وجوه الإعراب .

المطلب الخامس : المعنى العام .

المطلب السادس : ما يُستفاد من الآية .

ثم جاءت الخاتمة وبينت فيها أهم ما توصلت إليه في البحث من نتائج . ثم المصادر والمراجع ورتبتها على الحروف الهجائية .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل المضي الذي بذلته في إخراج هذا البحث نافعاً ، وأسأله سبحانه أن يجعله في صحائف أعماله وخالصاً لوجهه الكريم ، وأن يحشرنا مع

أهل التفسير الصادقين ، وأن يُنَوِّرَ قلوبنا ، وأن يجعلنا وإياهم في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، والحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول

الإبل في سورة الأنعام

سوف أتناول في هذا المبحث الحديث عن الإبل في سورة الأنعام وسوف أخص بالذكر كذلك الآية: ١٤٣ ؛ وذلك لورود ذكر الإبل فيها بلفظ (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) وسنجد أن آية سورة الزمر تُشير إلى ذلك. قال تعالى : (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَمٌ أُمَّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ تَبَوُّونَ بَعْلَهُنَّ لَمَّا كُنْتُمْ صَادِقِينَ@ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَمٌ أُمَّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ^(١) .

واشتملت دراسة الآيات على سبعة مطالب :

- المطلب الأول : التحليل اللغوي - الآية : ١٤٣ .
- المطلب الثاني : أسباب النزول - الآية : ١٤٣ .
- المطلب الثالث : القراءات القرآنية - الآية : ١٤٣ .
- المطلب الرابع : المعنى العام - الآية ١٤٣ .
- المطلب الخامس : التحليل اللغوي - الآية : ١٤٤ .
- المطلب السادس : المعنى العام - الآية : ١٤٤ .
- المطلب السابع : ما يستفاد من الآيتين : ١٤٣ و ١٤٤ .

(١) سورة الأنعام الآية : ١٤٣ و ١٤٤ .



المطلب الأول

التحليل اللغوي

سورة الأنعام - الآية : ١٤٣

* الضَّان :

قال الإمام الطبري رحمه الله :

(جمع لا واحد له من لفظه ، وقد يجمع الضَّان : الضَّيْن والضَّيْن ، مثل الشَّعِير والشَّعِير ، كما يجمع العبد على عَبِيد وَعَبِيد . وأما الواحد من ذكوره فضائن ، والأنثى ضائنة ، وجمع الضائنة : ضوائن ، وكذلك المعز جمع على غير واحد ، وكذلك المعزى ، وأما الماعز فجمعه ماعز (١) .

وقال الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله :

(الضَّان معروف ، وأضأن الرجل إذا كثر ضائنه ، وَقِيلَ الضَّائِنَةُ واحد الضَّانِ) (٢) .

المطلب الثاني

أسباب النزول

سورة الأنعام - الآية : ١٤٣

قال تعالى (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ
تَبْوُونِ يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٣) . قال الإمام السمرقندي رحمه الله :

(نزلت الآية في مالك بن عوف وأصحابه ، حيث قالوا : ما في بطون هذه الأنعام ، خالصةً لذكورنا ومحرم على أزواجنا) (٤) .

١ (تفسير جامع البيان - الإمام الطبري ٨/ ٨٩ .

٢ (معجم مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصفهاني : ٣١٢ مادة (ضَّان) .

٣ (سورة الأنعام - الآية : ١٤٣ .

٤ (تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم) - الإمام السمرقندي ٣/ ٣٤٦ .



المطلب الثالث

القراءات القرآنية

سورة الأنعام - الآية : ١٤٣

* المعز :

قال الإمام أبو الفرج الجوزي رحمه الله :

(قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر (المعز) بفتح العين . وقرأ نافع وحَمْزة ، وعاصم والكسائي : بتسكين العين) ^(١) ، أي (المعز) .

المطلب الرابع

المعنى العام . الآية : ١٤٣

(عرضت سورة الأنعام الأدلة على وحدانية الله من خلال الكون والإنسان والنبات والحيوان) ^(٢) .

وسوف اقتصر على تصور الإلوهية من خلال الحيوان لتعلقه بموضوعنا .

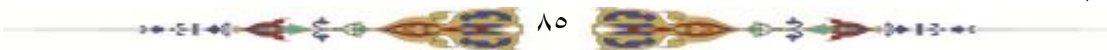
وكما عرضت سورة الأنعام دلائل التوحيد من خلال التفكير فيما بث الله على هذه الأرض من طير ودابة ، وإن هذه الأجناس المتنوعة ، والأصناف المتعددة ، تخضع لسلطان الله وقدرته . بالسنن التي وضعها لها في أسلوب توالتها وتكاثرها وطعامها وأسباب عيشها وكفالة رزقها ، وإن الإنسان ليس وحده الخاضع لسلطان الله وقدرته . فالكون والإنسان والحيوان والنبات ، كل له قانتون ، ولسلطانه خاضعون) ^(٣) .

١ (زاد المسير في علم التفسير - الإمام ابن الجوزي ١٠٦/٣ .

وينظر : تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم) - الإمام السمرقندي ٣/٣٤٨ - ٣٤٩ ، وتفسير معالم التنزيل - الإمام البيهقي ٢/١٣٧ ، والكافي في القراءات السبع - الإمام أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني : ١١٢ ، والحجة في القراءات السبع - ابن خالويه : ١٥٢ - تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم .

٢ (تصور الإلوهية كما تعرضه سورة الأنعام - د. إبراهيم زيد الكيلاني : ٢٤ .

٣ (المصدر نفسه : ٧٩ .





قال الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني :

(وإذا لفتت سورة الأنعام العقول إلى سلطان الله القاهر الشامل وسلطته الكاملة الشاملة المتجلية في خلق هذه الأصناف والأجناس المتنوعة المتكاثرة من طير وحيوان ، فإنها تلفت العقول أيضا إلى رحمة الله الواسعة وحكمته البالغة المتجلية في تسخير الأنعام لمصالح الإنسان تحمل متاعه ، ويحصل منها على طعامه ، وينتفع بأصوافها وأوبارها . وكان الله قادراً أن يجعلها وحشية نافرة كوحوش البراري من ذئب وغيرها .

قال تعالى : (وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءُ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)^(١) الحمولة هي الأنعام الكبار الصالحة للحمل ، والفرش هي صغارها الدانية من الأرض ، مثل الفرش المفروش عليها . وقيل الحمولة كل ما حمل عليه من إبل وبقر ، والفرش ما اتخذ من صوفه ووبره وشعره ما يفرش)^(٢) .

قال الإمام السجستاني رحمه الله :

(الحمولة الإبل التي تطيق أن تحمل ، والفرش الصغار التي لا تطيق الحمل ، وقال بعض العلماء ، الحمولة الإبل والخيل والبغال والحمير وكل ما حمل عليه ، والفرش : الغنم وكذا قال المفسرون)^(٣)

وقال الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني أيضاً .

(والذي أراه أن لفظ الآية شاملة لهذه المعاني ، مذكرة بنعم الله على عباده بما هيا لهم من منافع يحصلون عليها من هذه الأنعام ، ونظيره هذه الآية ، قوله تعالى : (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ)^(٤) وإن الله الذي سخر هذه الحيوانات لمصالح الإنسان هو الذي يستحق العبادة وحده)^(٥) .

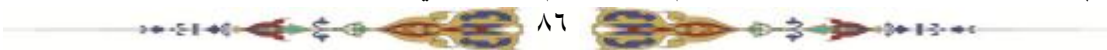
(١) سورة الأنعام - الآية : ١٤٢ .

(٢) تصور الإلهية كما تعرضه سورة الأنعام - د. إبراهيم زيد الكيلاني : ٨١ .

(٣) غريب القرآن - الإمام محمد بن عزيز أبو بكر السجستاني : ٧٦ - ٧٧ .

(٤) سورة النحل - الآية : ٨٠ .

(٥) تصور الإلهية كما تعرضه سورة الأنعام - د. إبراهيم زيد الكيلاني : ٨٢ .





قال الأستاذ عبد الحميد طهماز رحمه الله :

(....) ثم بينت الآيات حكمته سبحانه وفضله في خلق الأنعام وتسخيرها للإنسان وبطلان ما كان يفعلهُ المشركون فيها (١) .

نعود الآن إلى تفسير الآية وهي قوله تعالى :

(ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَمٌ مِّمَّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ بَيِّنٌ لِّمَنْ يَعْلَمُ الْكِتَابَ صَادِقِينَ) (٢) .

قال الإمام الطبري رحمه الله :

(وهذا تقريبٌ من الله جَلَّ ثناؤهُ العادلين به الأوثان من عبدة الأصنام الذي بحروا البحائر وسيبوا السوائب ووصلوا الوصائل ، وتعليمٌ منه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، الحجة عليهم في تحريمهم ما حرموا من ذلك ، فقال للمؤمنين به وبرسوله : (وهو الذي أنشأ جناتٍ معروشاتٍ وغير معروشاتٍ) (٣) ، ومن الأنعام أنشأ حمولةً وفرشاً . ثم بين جَلَّ ثناؤهُ الحمولة والفرش ، فقال : (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) وإنما نصب الثمانية ، لأنها ترجمة عن الحمولة والفرش وبدل منها ، كأن معنى الكلام : ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج ، فلما قَدَّمَ قبل الثمانية الحمولة والفرش بين ذلك بعد ، فقال (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) على ذلك المعنى (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) فذلك أربعة ، لأن كل واحد من الاثنين من الضأن زوج ، فالأنثى منه زوج الذكر ، والذكر منه زوج الأنثى ، وكذلك ذلك من المعز ومن سائر الحيوان ، فلذلك قال جَلَّ ثناؤهُ : (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) كما قال : (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) (٤) لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر ، فهما وإن كانا اثنين فهما زوجان ، كما قال جل ثناؤهُ : (وَجَعَلْنَا مِنْهَا أَزْوَاجًا يُسْكُنُ فِيهَا) (٥) وكما قال (أَسْكِنُكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) (٦) .

(١) بصائر الحق في سورة الأنعام - الأستاذ عبد الحميد طهماز : ١٢٩ .

(٢) سورة الأنعام - الآية : ١٤٣ .

(٣) سورة الأنعام - من الآية : ١٤١ .

(٤) سورة الذاريات - من الآية : ٤٩ .

(٥) سورة لأعراف - من الآية : ١٨٩ .

(٦) سورة الأحزاب - من الآية : ٣٧ .



عن الضحاك : (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ) ذكر وأنثى ، (ومن البقر اثنين) ذكر وأنثى ، (ومن الإبل اثنين) ذكر وأنثى ويقال للثنتين : هما زوج

ثم قال لهم : كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم ، واركبوا هذه الحمولة أيها المؤمنون ، فلا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما حرم هؤلاء الجهلة بغير أمري إياهم بذلك^(١) .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) . فقال الإمام الخازن رحمه الله :

(يعني وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج ، يعني ثمانية أصناف ، والزوج في اللغة الفرد إذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه ، فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنتين ، فيقال للذكر زوج وللأنثى زوج .

. (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ) .

يعني الذكر والأنثى ، والضأن ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والأنثى ضائنة ، والجمع ضوائن .

. (وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ) .

يعني الذكر والأنثى ، والمعز ذوات الشعر من الغنم ، والواحد معز والجمع معزى .

. (قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيْنِ) .

استفهام إنكار ، أي : قل يا محمد لهؤلاء الجهلة الذكركين من الضأن والمعز حرم عليكم أم الأنثيين منهما ، فإن كان حرم الذكركين من الغنم فكل ذكورها حرام ، وإن كان حرم الأنثيين منهما فكل إناثها حرام .

(١) تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن - الإمام الطبري ٨٦/٨ .



(أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيِّينَ) .

يعني أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضأن والمعز فإنها لا تشتمل إلا على ذكر وأنثى .

(بِئُؤُونِي) : أي : أخبروني وفسروا لي ما حرمتم (١) .

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله :

(قال الزجاج : المعنى :فسروا ما حرمتم بعلمٍ ، أي أنتم لا علمَ لكم ، لأنكم لا تؤمنون بكتاب) (٢)

وقوله تعالى : (بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) .

قال الإمام الخازن رحمه الله : (يعني أن الله حرم ذلك عليكم) (٣) .

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله :

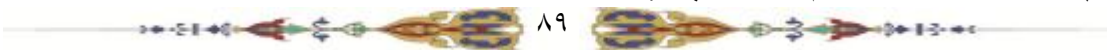
(قال المفسرون : فاحتجَّ الله تعالى عليهم بهذه الآية والتي بعدها ، لأنهم كانوا يحرمون أجناساً من النعم ، فبعضها على الرجال والنساء ، وبعضها على النساء دون الرجال) (٤) .

١ (تفسير أبواب التأويل في معاني التنزيل - الإمام الخازن ١٦٥/٢ .

٢ (تفسير زاد المسير - الإمام ابن الجوزي ١٠٧/٣ .

٣ (تفسير أبواب التأويل في معاني التنزيل - الإمام الخازن ١٦٥/٢ .

٤ (تفسير زاد المسير - الإمام ابن الجوزي ١٠٦/٣ .





المطلب الخامس

التحليل اللغوي

سورة الأنعام - الآية : ١٤٤

* الإبل :

قال الرازي رحمه الله :

(الإبل لا واحد لها من لفظها وهي مؤنثة لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم، وربما قالوا إبل بسكون الباء للتخفيف والجمع (آبال) ، وإذا قالوا (إبلان) وغنمان فإنما يريدون قطيعين من الإبل والغنم .

والنسبة إلى الإبل (إبلي) بفتح الباء استيحاشاً لتوالي الكسرات^(١).

وقال الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله :

(الإبل يقع على البُعران الكثيرة لا واحد له من لفظه

وأبَلَّ الوحشي يأبُلُ أبولاً وأبَلَّ أبلاً اجتزأ عن الماء تشبيهاً بالإبل في صبرها عن الماء .

وكذلك تأبَلَّ الرَّجُلُ عن امرأته إذا ترك مقاربتها ، وأبَلَّ الرجل ، كثرت إبله . وفلانٌ لا يأبُلُ ، أي لا يَنْبُتُ على الإبل إذا ركبها . ورجلٌ أبِلٌ ، وأبِلٌ حسن القيام على إبله . وإبِلٌ مؤبلةٌ (مجموعة)^(٢) .

وقال الإمام الزمخشري رحمه الله :

(فإن أثلَّ مال مؤبلة : غنم مغنمة وإبل مؤبلة . وتأبَلَّ إبلاً وتغنم غنماً : أتخذها . وهذه أبِل أي مهملة وفلان حسن الإيالة والإبالة أي السياسية والقيام على ماله ؛ لأن مال العرب الإبل ومنها أبِلٌ من حنيف الحناتم)^(٣) .

(١) مختار الصحاح - الرازي : ٢ مادة (أبل) .

(٢) المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني : ١٢ مادة (إبل) .

(٣) أساس البلاغة - الإمام الزمخشري : ١٠ مادة (أبل) .



وقال الرازي رحمه الله أيضاً :

قال الأخفش : يقال جاءت إبلك (أبابل) أي فرقاً و"طير أبابيل" قال وهذا يجيء في معنى التكاثر وهو من الجمع الذي لا واحد له .

وقال بعضهم : واحده إبؤل مثل عجول . وقال بعضهم : واحده إبييل . قال : ولم أجد العرب تعرف له واحداً .

قلت : نظيره وزناً ومعنى طير أبديد ونظيره وزناً فقط عبايد وعبايد وهم الفرق من الناس . قال سيبويه : لا واحد له .

و(الأبلة) بفتحين الوخامة والثقل من الطعام .

و(الأبيل) راهب النصارى وكانوا يسمون عيسى عليه السلام أبيل الأبييلين (١).

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله :

(وكم قد جرى ذكر الرواحل وصفاتها وحمدتها في شعر العرب ، ولا تكاد تخلو قصيدة من طولهم عن وصف الرواحل ومزاياها ، وناهيك بما في المعلمات وما في قصيدة كعب بن زهير) (٢) .

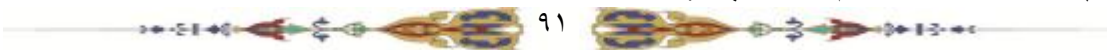
وقال الإمام الزمخشري رحمه الله :

(وعن بعض الحكماء أنه حَدَّثَ عن البعيرِ وبيدِ خلقه وقد نشأ في بلاد لا إبل بها ، ففكر ثم قال: يوشك أن تكون طوال الأعناق ، وحين أراد بها أن تكون سفائن البر صَبَّرَها على احتمال العطش حتى إن أظمأها لترتفع إلى العشر فصاعداً ، وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم) (٣) .

١ (مختار الصحاح - الرازي : ٢-٣ مادة (إبل)) .

٢ (تفسير التحرير والتنوير - الشيخ محمد طاهر بن عاشور ٣٠ / ٢٧٠ .

٣ (تفسير الكشاف - الإمام الزمخشري ٤ / ٥٨٣ .





وأما قوله تعالى : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) (١) .

فمنهم من فسر الإبل بالسحاب ، قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله :

(وعن المبرد أنه فسّر الإبل في هذه الآية بالأسحبة ، وتأوله الزمخشري بأنه لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب ، ولكنه أراد أنه من قبيل التشبيه ، أي هو على نحو قول عنتره :

جاءت عليه كل بكر حرة *****
فتركن كل قرارة كالدريم) (٢) .

وقال الإمام الزمخشري رحمه الله :

(ولم يدع من زعم أن الإبل السحاب إلى قوله إلا طلبُ المناسبة ، ولعله لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك ، وإنما رأى السحاب مشبهاً بالإبل كثيراً من أشعارهم فجوز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز) (٣) .

وقال الإمام محمد بن أبو بكر الرازي رحمه الله :

(ومن فسّر الإبل بالسحاب والماء قصد بذلك طلب المناسبة بطريق تشبيه الإبل بالسحاب في السير وفي النشاط أيضاً في بعض الأوقات ، لا أنه أراد أن المراد من الإبل السحاب حقيقة) (٤) .

وقد شبهه ابن دريد أيضاً بالسحاب في قصيدته (٥) .

وقال القاضي البيضاوي رحمه الله :

(....) وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة (١) .

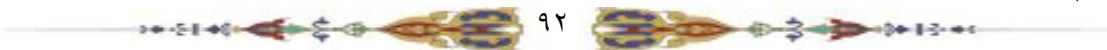
١ (سورة الغاشية . الآية : ١٧ .

٢ (تفسير التحرير والتنوير - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢٧١/٣٠ ، والبيت في ديوان عنتره : ١٦٩ .

٣ (تفسير الكشاف - الإمام الزمخشري ٥٨٤/٤ ، وكتاب بدع التفسير - لأبي الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني الإدريسي : ١٤٥ .

٤ (أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها - الإمام محمد بن أبو بكر الرازي : ٤١٢ وينظر : المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني : ١٢ مادة (إبل) .

٥ (المصدر نفسه ٤١٢ .





أما عن وجه الشبه فهو العلو والحركة المتموجة الهادئة . قال الإمام الشوكاني رحمه الله :
(وهو خلاف ما ذكره أهل التفسير واللغة) (١) .

وقال الشيخ أبو الفضل عبد الله محمد الغماري رحمه الله :
(هذا توجيه بعيد) (٢) .

وقال الإمام ابن جزيء رحمه الله :

(وهذا بعيد ، وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال ، والصحيح أن المراد الحيوان المعروف) (٣) .

المطلب السادس

المعنى العام

سورة الأنعام - الآية : ١٤٤

قال تعالى : (وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٤) .

قال الإمام الخازن رحمه الله :

(وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ) وهذه أربعة أزواج آخر بقية الثمانية " قل الذكركين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين). وتفسير هذه الآية نحو ما تقدم ، وفي هاتين الآيتين تقريب وتوبيخ من الله تعالى لأهل الجاهلية بتحريمهم ما لم يحرمه الله ، وذلك أنهم كانوا يقولون : هذه أنعام وحرث حجر . وقالوا : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وحرموا البحيرة

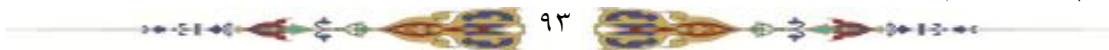
١ (تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل - القاضي البيضاوي ٥٩٢/٢ .

٢ (تفسير فتح القدير - الإمام الشوكاني ٩٩١/٢ .

٣ (كتاب بدع التفاسير - لأبي الفضل عبد الله محمد الغماري : ١٤٥ .

٤ (التسهيل لعلوم التنزيل - الإمام ابن جزيء ١٩٦/٤ .

٥ (سورة الأنعام - الآية : ١٤٤ .



والسائبة وَالْوَصِيلَةَ وَالْحَامِي وَكَانُوا يُحْرَمُونَ بعضها على الرجال والنساء ، وبعضها على النساء دون الرجال كما أخبر الله عنهم في كتابه فلما جاء الإسلام وثبتت الأحكام جادلوا النبي ﷺ وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمي فقال : يا محمد بلغنا أنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه ، فقال له رسول الله ﷺ : قد حرمت أصنافاً من النعم على غير أصل وإنما خلق الله هذه الأزواج الثمانية للأكل والانتفاع فمن أين جاء هذا التحريم من قبل الذكر أم من قبل الأنثى ؟ فسكت مالك بن عوف ، وتحير ولم يتكلم ، فقال النبي ﷺ يا مالك ألا تتكلم ؟

فقال : بل أنت تتكلم وأسمع منك ، قال المفسرون : فلو قال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب أن يحرم جميع الذكور ، ولو قال : بسبب الأنوثة وجب أن يحرم جميع الإناث ، وإن كان باشمال الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل لأن الرحم لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى .

وأما تخصيص التحريم بالولد الخامس أو السابع أو البعض دون البعض فمن أين ذلك التحريم ؟

فاتحجَّ الله على بطلان دعواهم بهاتين الآيتين وأعلم نبيه ﷺ أن كل ما قالوه من ذلك وأضافوه إلى الله فهو كذب على الله وأنه لم يحرم شيئاً من ذلك ، وأنهم اتبعوا في ذلك أهواءهم وخالفوا أمر ربه (١).

ثم يضيف رحمه الله قوله :

(وذكر الإمام فخر الدين في معنى الآية وجهين آخرين ونسبهما إلى نفسه ، فقال : إنَّ هذا الكلام ما وردَ على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم ، بل هو استفهام على سبيل الإنكار يعني إنكم لا تقرّون بنبوة نبي ولا تعترفون بشريعة شارح فكيف تحكمون بأن هذا يحل وهذا يحرم .

والوجه الثاني : إنكم حكمتم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي مخصوصاً بالإبل فأنه تعالى بيّن أن النعم عبارة عن هذه الأنواع الأربعة وهي : الضأن والمعز والبقر والإبل ، فلمَ لم تحكموا بهذه الأحكام في هذه الأنواع الثلاثة وهي الضأن والمعز والبقر ، فكيف خصصتم

(١) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل - الإمام علاء الدين الخازن ١٦٦/٢ .

وينظر : تفسير معالم التنزيل - الإمام البغوي ١٣٧/٢ .



الإبل بهذا الحكم دون هذه الأنواع الثلاثة (١). وقوله تعالى : (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا) قال القاضي البيضاوي رحمه الله :

(بل أكنتم شاهدين حاضرين ، حين وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم إلى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهدة والسماع) (٢) . وقال الإمام الواحدي رحمه الله

(هل شاهدتم الله قد حرّم هذا إذ كنتم لا تؤمنون برسول الله ؟! فلما لزمتم الحجة بيّن الله تعالى أنهم فعلوا ذلك كذبا على الله) (٣) .

وقال الإمام السمرقندي رحمه الله تعالى :

(يعني إذا لم يقدروا على إثبات تحريم ذلك بالعقل ، فهل لكم كتاب يشهد على تحريم هذا) (٤) .

وقال الشيخ محمد علي الصابوني :

(زيادة في التوبيخ أي هل كنتم حاضرين حين وصاكم الله بهذا التحريم ؟ وهذا من باب التهكم) (٥) .

وحاصل الكلام في هذه الآية : (أنكم لا تعترفون بنبوة أحد من الأنبياء فكيف تثبتون هذه الأحكام المختلفة) (٦) .

١ (تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل - الإمام علاء الدين الخازن ١٦٦/٢ وينظر : معالم التنزيل . الإمام البيهقي ١٣٧ /٢ .

٢ (تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل - القاضي البيضاوي ١/٣٢٥ .

٣ (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الإمام الواحدي ١/٣٧٩ .

٤ (تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم) - الإمام السمرقندي ٣/٣٤٨ .

٥ (صفوة التفاسير - الشيخ محمد علي الصابوني ١/٣٦١ .

٦ (التفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب) - الإمام فخر الدين الرازي ١٣/١٧٨ .



وقوله تعالى : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا).

قال الشيخ محمد علي الصابوني :

(أي : لا أحد أظلم ممن كذب على الله ، فنسب إليه تحريم مالم يحرم بغير دليل ولا برهان)^(١)
وقال القاضي البيضاوي رحمه الله :

(فنسب إليه تحريم ما لم يحرم ، والمراد كبرائهم المقررون لذلك ، أو عمرو بن لحي بن قمعة
المؤسس لذلك)^(٢) . (ومن جاء بعده على طريقته)^(٣) .

وقال الإمام الخازن رحمه الله في عمرو بن لحي :

(لأنه أول من بخرَ البحائرَ وَسَيَّبَ السَّوَابِ وغير دين إبراهيم عليه السلام ، ويدخل في هذا
الوعيد كل من كان على طريقته أو اتبع شيئاً لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك إلى الله
تعالى ، لأن اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من أدخل في دين الله ما ليس فيه فهو داخل
في هذا الوعيد)^(٤) .

وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله :

(العلة الموجبة لهذا الحكم عامة ، فالتخصيص تحكم محض . قال المحققون : إذا ثبت أن من
أفترى على الله الكذب في تحريم مباح استحق هذا الوعيد الشديد ، فمن افترى على الله الكذب
في مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والنبوات والملائكة ومباحث المعاد كان وعيده أشد
وأشق)^(٥) .

١) صفوة التفاسير - الشيخ محمد علي الصابوني ٣٦١/١ .

٢) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل - القاضي البيضاوي ٣٢٥/١ .

وينظر : تفسير معالم التنزيل - الإمام البغوي ١٣٧/٢ .

٣) تفسير معالم التنزيل - الإمام البغوي ١٣٧/٢ .

٤) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل - الإمام الخازن ١٦٦-١٦٧ وينظر : الوجيز في تفسير الكتاب

العزیز . الإمام الواحدی ٣٨٠ / ١ ، والتفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب) . الإمام فخر الدين الرازي ١٣ / ١٧٨ .

٥) التفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب) - الإمام فخر الدين الرازي ١٣ / ١٧٨ .



وقوله تعالى (يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ) .

قال الإمام الخازن رحمه الله :

(ليضل الناس بذلك ويصدهم عن سبيل الله جهلاً منه إذ ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه إلى الله ويقول إنَّ الله أمرنا بهذا)^(١) .

وقال الإمام السمرقندي رحمه الله :

(بغير حجة وبيان ، يعني ليصرف الناس عن حكم الله تعالى بالجهل)^(٢) .

وقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

قال الإمام الخازن رحمه الله :

(يعني أن الله لا يرشده ولا يوفق من كذب على الله وأضاف إليه ما لم يشرعه لعباده)^(٣) .

وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله :

(لا يهديهم إلى ثوابه وإلى زيادات الهدى التي يختص المهتدى بها ، وقال أصحابنا : المراد منه الإخبار بأنه تعالى لا يهدي أولئك المشركين ، أي لا ينقلهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، والكلام في ترجيح أحد القولين على الآخر معلوم)^(٤) .

قال الشيخ محمد علي الصابوني : (عموم في كل ظالم)^(٥) .

١ (لباب التأويل في معاني التنزيل - الإمام الخازن ١٦٦/٢ .

٢ (تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم) - الإمام السمرقندي ٣٤٨/٣ .

٣ (تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل - الإمام الخازن ١٦٧/٢ ، وينظر : تفسير القرآن الكريم

(بحر العلوم) . الإمام السمرقندي ٣٤٨/٣ .

٤ (التفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب) - الإمام فخر الدين الرازي ١٧٨/١٣ .

٥ (صفوة التفاسير - الشيخ محمد علي الصابوني ٣٦١/١ .



وحاصل ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يهدي ولا يرشد ولا يوفق كل من كذب على الله سبحانه وتعالى ، بإضافة تحريماً أو تحليلاً لم يشرعه والآية تتناول كل من فعل ذلك فهو داخل تحت لفظ "ظالم" لأن الإنسان يظلم نفسه بابتداع تلك الأمور .

المطلب السابع

ما يُستفاد من الآيتين

سورة الأنعام - الآيتان : ١٤٣ و ١٤٤ .

(١) (في هذه الآيات يأخذ السياق في مواجهة دقيقة يتتبع بها مكامن الأوهام الجاهلية ، ليُلقي عليها الضوء ، ويستعرضها واحداً واحداً ، وجزئية جزئية ، فيكشف عن السخف الذي لا يمكن تعليقه ولا الدفاع عنه، والذي قد يخجل منه صاحبه نفسه ، حين يكشف له النور ، وحين يرى أن لا سند له فيه من علم ولا هدى ولا كتاب منير .

فهذه الأنعام التي يدور حولها الجدل ؛ والتي ذكرتها الآيات ، هي ثمانية أزواج - وكل من الذكر والأنثى يطلق عليها لفظ زوج عندما يكون مع رفيقه - زوج من الضأن وزوج من المعز ، فأى منها حرمه الله على أي من الناس ؟ أم أنه حرم أجنحتها في البطون ؟ (تَبُونِي بَعْلُمِ إِنَّكُمْ صَادِقِينَ)^(١) ، فهذه الشؤون لا يُفتى فيها بالظن ، ولا يقضى فيها بالحدس ، ولا يشرع فيها بغير سلطان معلوم ، وبقيّة الأزواج ذكرٍ وأنثى من الإبل ، وذكر وأنثى من البقر . فأياً كذلك ؟ أم أجنحتها هي التي حرمها الله على الناس ؟ ومن أين هذا التحريم .

(أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا)^(٢) فحضرتم وشهدتم وصية الله لكم خاصة مستيقن بهذا التحريم فما ينبغي أن يكون هناك تحريم بغير أمر من الله مستيقن ، لا يرجع فيه إلى الرجم والظنون . وبهذا يرد أمر التشريع كله إلى مصدر واحد^(٣) .

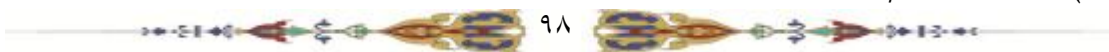
(٢) (بيان عاقبة الافتراء على الله سبحانه وتعالى بغير ما شرع)^(٤) .

(١) سورة الأنعام - من الآية: ١٤٣ .

(٢) سورة الأنعام - من الآية: ١٤٤ .

(٣) التفسير التبروي للقرآن الكريم - أنور الباز ١/٤٣٩ - ٤٤٠ .

(٤) المصدر نفسه ١/٤٣٩ .





(٣) (أن نوقن أن بأس الله لا يُردُّ عن المجرمين) (١) .

(٤) (السؤال والاستخبار عن دليل للمشركين في التحريم والتحليل في هذه الأصناف) (٢). وهذه الأنعام ثمانية أصناف وأزواج وهي الإبل والبقر ، والغنم والمعز ، وكل منها ذكر وأنثى : كبش ونعجة ، وتيس وعنزة ، وجمل وناقاة ، وثور وبقرة .

(٥) (في هذه الآية وهي قوله تعالى : (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) دليل إثبات المناظرة في العلم لأن الله تعالى أمر النبي عليه الصلاة والسلام بأن يناظرهم ، ويبين فساد قولهم) (٣) . قال الأستاذ عبد الحميد طهماز رحمه الله :

(والآية تدل على مشروعية المناظرة في العلم ، لأن الله تعالى أمر نبيه عليه السلام بأن يناظرهم ويبين لهم فساد قولهم ، فإن كان الله تعالى حرّم الذكور ، فكل ذكر حرام ، وأن حرّم الإناث ، فكل أنثى حرام ، وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، فكل مولود حرام ذكراً كان أو أنثى .

وبعد أن بيّن سبحانه تهافت أقوالهم وتناقضهم عقلاً ، بيّن بطلانها نقلاً أيضاً ، فقال :

(أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا) (٤) التحريم وفيه تهكم شديد بهم) (٥).

(٦) (وفيها إثبات القول بالنظر والقياس ، وفيها دليل أن القياس إذا ورد عليه النص بطل القول به ، ويروى إذا ورد عليه النقص ، لأن الله تعالى أمرهم بالمقايسة الصحيحة ، وأمرهم بطرد علتهم ، وأمرهم بأن يثبتوا وجه الحرمة ، إن سبب الحرمة الأنوثة أو الذكورة أو اشتمال الرّحم .

فإن كان سبب الحرمة الأنوثة ، ينبغي أن يكون كل أنثى حراماً لوجود العلة ، وإن كان سبب الحرمة الذكورة ، ينبغي أن يكون كل ذكر حراماً ، لوجود العلة ، وإن كل محرماً

(١) المصدر السابق ٤٣٩/١ .

(٢) التفسير الوسيط - الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ٦١٨/١ .

(٣) تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم) - الإمام السمرقندي ٣٤٦/٣ - ٣٤٧ .

(٤) سورة الأنعام - من الآية : ١٤٤ .

(٥) بصائر الحق في سورة الأنعام الأستاذ عبد الحميد طهماز : ١٣٠ .



لاشتمال الرّحم ، وقد حرم الأولاد كلها ووجهت حرمتها لوجود العلة فيها ، فبين انتقاض علتهم وفساد قولهم (١) .

(٧) (إن التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنزيل) (٢) .

(٨) (دلت الآيات على أن الإضلال عن الدّين مذموم ، لا يليق بالله ، لأنه تعالى إذا ذمّ الإضلال الذي ليس فيه إلا تحريم المباح فالذي هو أعظم منه أولى بالذمّ) (٣) .

(٩) (إنه ليس كل من كان مذموماً منّا كان مذموماً من الله تعالى . ألا ترى أن الجمع بين العبيد والإماء تسليط الشهوة عليهم وتمكينهم من أسباب الفجور مذموم منّا وغير مذموم من الله تعالى فكذا هاهنا) (٤) .

المبحث الثاني

وردت ضمناً بلفظ (ثمانية أزواج) في سورة الزمر

قال تعالى : (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِي تُصْرَفُونَ) (٥) .

واشتملت دراسة الآية على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : المناسبة .

المطلب الثاني : المعنى العام .

المطلب الثالث : ما يستفاد من الآية .

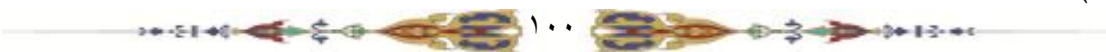
١) تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم) - الإمام السمرقندي ٣/٣٤٧ .

٢) تفسير معالم التنزيل - الإمام البيهقي ٢/١٣٧ .

٣) التفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب) - الإمام فخر الدين الرازي ١٣/١٧٨ .

٤) المصدر نفسه ١٣/١٧٨ .

٥) سورة الزمر - الآية : ٦ .





المطلب الأول

المناسبة

سورة الزمر - الآية ٦:

قال الإمام البقاعي رحمه الله :

(ولما كان تنويع الحيوان إلى أنواع متباينة أدل على القدرة التي هي منشأ القهر ، وكان سبحانه موصوفاً بالعلو ، وكان أكثر الأنعام أشد من الإنسان ، فكان تسخير له وتذليله إنزالاً له عن قوته وإيهاناً لشدته ، قال دالاً على ذلك الإنشاء والجعل بلفظ الإنزال) (١) .

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله :

(استدلال بما خلقه الله تعالى من الأنعام عطف على الاستدلال بخلق الإنسان ؛ لأن المخاطبين بالقرآن يومئذ قوام حياتهم بالأنعام ، ولا تخلو الأمم يومئذ من الحاجة إلى الأنعام ، ولم تنزل الحاجة إلى الأنعام حافة بالبشر في قوام حياتهم . وهذا اعتراض بين جملة (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) (٢) وبين (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) (٣) لمناسبة أزواج الأنعام لزوج النفس الواحدة . وادمج في هذا الاستدلال امتنان بما فيها من المنافع للناس لما دلّ عليه قوله : (لكم) (٤) .

لأنّ في الأنعام مواد عظيمة لبقاء الإنسان وهي التي في قوله تعالى : (وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) (٥) . إلى قوله : (لِالْبَشَرِ الْأَنْفُسِ) (٦) ، قوله : (مِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا) (٧) الخ في سورة النحل (٨) .

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . الإمام البقاعي ٦ / ٤٢٢ .

(٢) سورة الزمر - من الآية ٦.

(٣) سورة الزمر - من الآية ٦.

(٤) سورة الزمر - من الآية ٦.

(٥) سورة النحل - من الآية ٥.

(٦) سورة النحل - من الآية ٧ .

(٧) سورة النحل - من الآية ٨٠ .

(٨) تفسير التحرير والتنوير - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢٤ / ٢٢ - ٢٣ .



المطلب الثاني

المعنى العام

سورة الزمر - الآية ٦:

قال تعالى : (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) ^(١) .

قال الإمام ابن جزير رحمه الله :

(يعني المذكورة في الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وسماها أزواجاً لأن الذكر زوج الأنثى ، والأنثى زوج الذكر .

وأما (أَنْزَلَ) ففيه ثلاثة أوجه :

الأول : (أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها) ^(٢) .

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله :

(ويجوز أن يكون إنزال الأنعام إنزالها الحقيقي ، أي إنزال أصولها من سفينة نوح ، كقوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) ^(٣) ، أي خلقنا أصلكم وهو آدم ، قال تعالى : (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) ^(٤) .

فيكون الإنزال هو الإهباط ، قال تعالى : (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) ^(٥)

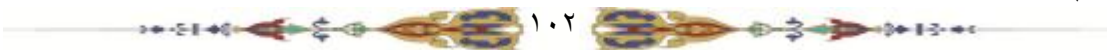
١ (سورة الزمر - من الآية : ٦ .

٢ (التسهيل لعلوم التنزيل - الإمام ابن جزير ١٩١/٣ .

٣ (سورة الأعراف - من الآية : ١١ .

٤ (سورة هود - من الآية : ٤٨ .

٥ (سورة هود - من الآية : ٤٨ .



فهذان وجهان حسنان لإطلاق الإنزال ، وهما أحسن من تأويل المفسرين إنزال الأنعام بمعنى الخلق ، أي لأن خلقها بأمر التكوين الذي ينزل من حضرة القدس إلى الملائكة (١) وسوف يأتي بنا هذا المعنى .

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله :

(وعبر بالإنزال لما يروى أنه خلقها في الجنة ثم أنزلها ، فيكون الإنزال حقيقة ، ويحتمل أن يكون مجازاً ، لأنها لم تعش إلا بالنبات) (٢).

نعود الآن إلى بيان معنى الإنزال كما ذكره لنا الإمام ابن جزيء رحمه الله بعد أن بين لنا المعنى الأول ، وأما المعنى الثاني في الإنزال فهو : (أن معنى أنزل قضى وقسم ، فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه) (٣) .

قال القاضي البيضاوي رحمه الله :

(وقضى أو قسم لكم ، فإن قضايه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح المحفوظ ، أو أحدث لكم بأسباب نازلة كأشعة الكواكب والأمطار) (٤) .

وأما المعنى الثالث في الإنزال الذي ذكره الإمام ابن جزيء رحمه الله فهو :

(أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات فتعيش منه هذه الأنعام فَعَبَّرَ بِإِنزَالِهَا عَنْ إِنزَالِ أَرْزَاقِهَا وَهَذَا بَعِيدٌ) (٥) وأضاف الإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله معنى رابعاً لمعنى الإنزال وهو :

التذليل والتمكين ، فقال رحمه الله : (ويطلق على تذليل الأمر الصعب ، كما يقال :نزلوا على حُكْمِ فُلَانٍ ؛ لأن الأمر الصعب يتخيل صعب المنال كالمعتصم بقمم الجبال .

قال خَصَّابُ بن المعلى من شعراء الحماسة :

١) تفسير التحرير والتنوير - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢٣/٢٤ .

٢) تفسير فتح القدير - الإمام الشوكاني ٥٥٠/٢ .

٣) التسهيل لعلوم التنزيل - الإمام ابن جزيء ١٩١/٣ .

٤) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل - القاضي البيضاوي ٣٢٠/٢ .

٥) التسهيل لعلوم التنزيل - الإمام ابن جزيء ١٩١/٣ .



أَنْزَلْنِي الدَّهْرَ عَلَى حَكْمِهِ ***** من شَاهِقِ عَالٍ إِلَى خَفْضٍ (١)

فإطلاق الإنزال هنا بمعنى التذليل والتمكين ، على نحو قوله تعالى : (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ) (٢) أي سخرناه للناس فألهمناهم إلى معرفة قَيْنِهِ يتخذونه سيوفاً ودروعاً ورماحاً وعتاداً مع شدته وصلابته (٣) .

وأضاف لنا الإمام الشوكاني رحمه الله معنى خامساً في الإنزال ، فقال رحمه الله :

(وقيل أن أنزل بمعنى أنشأ وجعل ، أو بمعنى أعطى ، وقيل جعل الخلق إنزالاً لأن الخلق إنما يكون بأمر ينزل من السماء) (٤)

وقوله تعالى: (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ).

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله : (اسم لكل واحد معه آخر ، فإذا انفرد فهو فرد منه ، قال تعالى (فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى) (٥) .

قال الإمام مجاهد رحمه الله : (يعني : من الإبل والبقر والغنم والضأن والمعز) (٦) .

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله أيضاً : (وقد تقدم تفسير الآية في سورة الأنعام) (٧) .

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله : (وقد بينها في سورة الأنعام) (٨) وكذا قال الإمام البيهقي

رحمه الله (١) .

١) ديوان الحماسة . أبو تمام ١٠١/١ ، وفي الديوان : وقال جطان بن المعلى .

٢) سورة الحديد - من الآية : ٢٥ .

٣) تفسير التحرير والتنوير - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢٣/٢٤ .

٤) تفسير فتح القدير - الإمام الشوكاني ٥٥٠/٢ .

٥) سورة القيامة - الآية : ٣٩ ، وأنظر : التفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب) - الإمام فخر الدين الرازي

٢٦/٢١٣ . وينظر تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل - الإمام الخازن ٤٠ / ٥١ .

٦) تفسير مجاهد - الإمام مجاهد بن جبر المكي : ٥٥٥ ، وتفسير لباب التأويل في معاني التنزيل . الإمام

الخازن ٤ / ٥١ ، وتفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل - القاضي البيضاوي ٢ / ٣٢٠ .

٧) تفسير فتح القدير - الإمام الشوكاني ٥٥٠/٢ .

٨) تفسير زاد المسير - الإمام ابن الجوزي ٧ / ٤٢ .



وقد أطلنا في بيانها وذكرها في سورة الأنعام فلا داعي للإعادة تجنباً للتكرار .

المطلب الثالث

ما يُستفاد من الآية

سورة الزمر - الآية ٦:

إن من الأمور المستفادة من الآية الكريمة هي :

١- (أن نعلم فضل الله تعالى على العباد في خلقهم ورزقهم) (٢) .

٢- (أن نؤمن بغنى الله تعالى عن خلقه وافتقار الخلق إليه) (٣) .

٣- (أن نعلم فضل العالم على الجاهل) (٤) .

٤- وأما المحتوى التربوي للآية الكريمة فإنه :

(ينتقل السياق إلى لمسة في أنفس العباد ، ويشير إلى آية الحياة القريبة فهم في أنفسهم ، وفي الأنعام المسخرة لهم ، فمن عزته سبحانه أنه خلقكم من نفسٍ واحدة وهي آدم على كثرتم وانتشاركم واختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم ، ثم جعل منها زوجها حواء ، وذلك ليسكن إليها وتسكن إليه ، وتتم بذلك النعمة ، وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج ، وقد أنزل الله الماء فأخرج به النبات الذي تعيش عليه الأنعام فكأنه أنزلها (وقد ذكرنا فيما سبق أقوال المفسرين في معنى الإنزال) ، والأنعام الثمانية كما جاءت في آية أخرى : هي الضأن والمعز والبقر والإبل من كل ذكر وأنثى ، وكل من الذكّر والأنثى يسمى زوجاً عند اجتماعهما ، فهي ثمانية في مجموعها) (٥) .

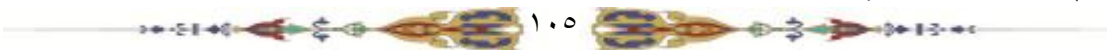
١ (ينظر : معالم التنزيل - الإمام البغوي ٧٢/٤ .

٢ (التفسير التربوي للقرآن الكريم - أنور الباز ١٤٩/٣ .

٣ (التفسير التربوي للقرآن الكريم . أنور الباز ١٤٩/٣ .

٤ (المصدر السابق ١٤٩/٣ .

٥ (المصدر السابق ١٤٩/٣ .





٥- ويستفاد من الآية أيضاً (استدلال آخر بما أوجده في العالم السفلي مبدوء به من خلق الإنسان لأنه أقرب وأكثر دلالة وأعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات :

خلق أم أولاً من غير أب وأم ، ثم خلق حواء من قصيراه ، ثم تشعب الخلق الفئات للحرص منهما . وثم للعطف على محذوف وهو صفة نفس مثل خلقها أو على معنى واحدة أي من نفس وجدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها ، أو على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين ، فإن الأولى عادة مستقرة دون الثانية ، وقيل أخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حواء^(١)

المبحث الثالث

الإبل في سورة العاشية

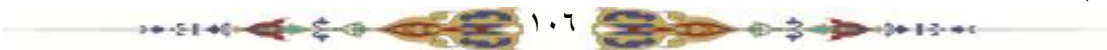
قال تعالى : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)^(٢) .

واشتملت دراسة الآية على ستة مطالب :

- المطلب الأول : أسباب النزول .
- المطلب الثاني : المناسبة .
- المطلب الثالث : وجوه القراءات .
- المطلب الرابع : وجوه الإعراب .
- المطلب الخامس : المعنى العام .
- المطلب السادس : ما يُستفاد من الآية .

(١) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل - القاضي البيضاوي ٣٢٠/٢ .

(٢) سورة العاشية : الآية : ١٧ .





المطلب الأول

أسباب النزول

سورة الغاشية - الآية: ١٧

قال الإمام الطبري رحمه الله :

(حدثنا بشر ، قال ، ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال لما نعت الله ما في الجنة ، عجب من ذلك أهل الضلالة ، فأنزل الله (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) ^(١) فكانت الإبل من عيش العرب ، ومن حولهم) ^(٢).

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله :

(قال قتادة : ذكر الله ارتفاع سُرُر الجنة ، وفرشها ، فقالوا : كيف نصعدها ، فنزلت هذه الآية) ^(٣).

المطلب الثاني

المناسبة

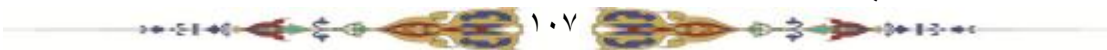
سورة الغاشية - الآية: ١٧

قال الإمام الخازن رحمه الله :

١ (سورة الغاشية - الآية: ١٧ .

٢ (تفسير جامع البيان عن تأويل أي القرآن - الإمام الطبري ٢٠٦/١٥ ، وينظر : أبواب النقول في أسباب النزول - الإمام السيوطي : ٤٥٤ ، وزاد المسير في علم التفسير - الإمام ابن الجوزي ٣٥٢/٨ ، ومعالم التنزيل - الإمام البغوي ٤٧٩/٤ ، وتفسير الخازن ٤٢١/٤ ، وأسئلة القرآن المجيد وأجوبتها - الإمام محمد بن أبو بكر الرازي : ٤١١ .

٣ (زاد المسير في علم التفسير - الإمام ابن الجوزي ٣٥٢/٨ ، وينظر : أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها - الإمام محمد بن أبو بكر الرازي : ٤١١ .





(فإن قلت : كيف حَسُنَ ذكر الإبل مع السماء والأرض والجبال ، ولا مناسبة بينهما ، ولم بدأ بذكر الإبل قبل السماء والأرض والجبال؟ قلت : لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيدهِ وقدرته وأنه هو الخالق لهذه الأشياء جميعها ، وكانت الإبل من أعظم شيء عند العرب فينظرون إليها ليلاً ونهاراً ، ويصاحبونها ظعناً وأسفاراً ، ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ، ولهذا بدأ بها ؛ ولأنها من أعجب الحيوانات عندهم) (١) .

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله :

(فالذي حَسُنَ اقتران الإبل مع السماء والجبال والأرض في الذكر هنا ، هو أنها تنتظم في نظر جمهور العرب من أهل تُهامة والحجاز ونجد وأمثالها من بلاد أهل الوبر والانتجاع) (٢) .

قال الإمام أبو البركات النسفي رحمه الله :

(وتخصيصُ هذه الأربعة باعتبار أن هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال ، والمرء إنما يستدل بما تكثر مشاهدته له ، والعرب تكون في البوادي ، ونظرهم فيها إلى السماء والأرض والجبال والإبل) (٣) .

وقال الإمام ابن جزيء رحمه الله :

(وقيل أراد بالإبل السحاب وهذا بعيد ، وإنما حمل قائلة عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال ، والصحيح أن المراد الحيوان المعروف) (٤) . وقد مرَّ بنا ذلك في آية سورة الأنعام .

١ (لباب التأويل في معاني التنزيل - الإمام الخازن ٤/٢٢٢ ، وينظر : أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها - الإمام محمد بن أبو بكر الرازي : ٤١١ ، وتفسير الكشاف - الإمام الزمخشري ٤/٥٨٤ .

٢ (تفسير التحرير والتنوير - ابن عاشور ٣٠ / ٢٧٠ .

٣ (تفسير مدارك التنزيل - أبو البركات النسفي ٤/٣٥٢ .

٤ (التسهيل لعلوم التنزيل - الإمام ابن جزيء ٤/١٩٦ .



المطلب الثالث

وجوه القراءات

سورة الغاشية - الآية : ١٧

* الإبل :

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله :

(قرأ ابن عباس ، وأبو عمران الجوني ، والأصمعي عن أبي عمرو (الإبل) بإسكان الباء ، وتخفيف اللام .

وقرأ أبيُّ بن كعب ، وعائشة ، وأبو المتوكل ، والجحدري ، وأبن السميع ، ويونس بن حبيب ، وهارون كلاهما عن أبي عمرو (الإبلُ) بكسر الباء ، وتشديد اللام .

قال هارون : قال أبو عمرو (الإبلُ) بتشديد اللّام : السحاب الذي يحمل الماء) (١) .

قال الإمام الشوكاني رحمه الله :

(روي عن الأصمعي انه قال : من قرأ (خلقت) بالتخفيف عني به البعير ، ومن قرأ بالتشديد عني به السحاب) (٢) .

(وقرأ علي بن أبي طالب ، وأبن عباس ، وأبو العالية ، وأبو عمران ، وأبن أبي عبله (خَلَفْتُ) بفتح الخاء ، وضم التاء . وكذلك قرأوا : (رَفَعْتُ) و (نَصَبْتُ) و (سَطَحْتُ) (٣) .

١ (تفسير زاد المسير - الإمام ابن الجوزي ٢٥٢/٨ . وينظر : أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها - الإمام محمد بن أبو بكر الرازي : ٤١٢ .

٢ (تفسير فتح القدير - الإمام الشوكاني ٩٩١/٢ .

٣ (تفسير زاد المسير - الإمام ابن الجوزي ٢٥٢/٨ .



المطلب الرابع

وجوه الإعراب

سورة الغاشية - الآية : ١٧

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله :

(ضمير (ينظرونَ) عائد إلى معلوم من سياق الكلام . والهمزة للاستفهام الإنكاري إنكاراً عليهم إهمال النظر في الحالِ إلى دقائق صنع الله في بعض مخلوقاته ، والنظر : نظر العين المفيد الاعتبار بدقائق المنظور ، وتعديته بحرف (إلى) تنبيه على إمعان النظر ليشعر الناظر مما في المنظور من الدقائق ، فأقولهم نظر إلى كذا أشد في توجيه النظر من النظر كذا لما في (إلى) من معنى الانتهاء حتى كأنَّ النظر انتهى عند المجرور ب : (إلى) انتهاء تمكن واستقرار كما قال تعالى : (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ) ^(١) وقوله : (إِلَيْهَا نَاطِرَةٌ) ^(٢) ولزيادة التنبيه على إنكار هذا الإهمال قيّد فعل (ينظرون) بالكيفيات المعدودة في قوله :

(كَيْفَ خُلِقَتْ) ^(٣)، (كَيْفَ رُفِعَتْ) ^(٤) ، (كَيْفَ نُصِبَتْ) ^(٥) ، (كَيْفَ سَطِحَتْ) ^(٦) أي لم ينظروا إلى دقائق هيئات خلقها .

وجملة (كيف خلقت) بدل اشتمال من الإبل والعامل فيه هو العامل في المبدل منه وهو فعل (ينظرون) لا حرف الجر ، فإن حرف الجر آلة لتعدية الفعل إلى مفعوله فالفعل إن احتاج إلى حرف الجر في التعدية إلى المفعول لا يحتاج إليه في العمل في البديل ، وشتان بين ما

١ (سورة الأحزاب - من الآية : ١٩ .

٢ (سورة القيامة - الآية : ٢٣ .

٣ (سورة الغاشية - من الآية ١٧ .

٤ (سورة الغاشية - من الآية ١٨ .

٥ (سورة الغاشية - من الآية ١٩ .

٦ (سورة الغاشية - من الآية : ٢٠ .



يقتضيه إعمال المتبوع وما يقتضيه إعمال التابع فكلُّ على ما يقتضيه معناه وموقعه ، فكيف منصوب على الحالِ بالفعلِ الذي يليه . والمعنى والتقدير : أفلا ينظرون إلى الإبل هَيْئَةً خَلَقَهَا (١) .

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله :

(الاستفهام للتقريع والتوبيخ ، والفاء للعطف على مقدر كما في نظائره مما مرَّ غير مرة ، والجملة مسوقة لتقرير أمر البعث والاستدلال عليه ، وكذا ما بعدها ، و(كيف) منصوية بما بعدها ، والجملة في محل جر على أنها بدل اشتمال من الإبل ، والمعنى : أينكرون أمر البعث ويستبعدون وقوعه ، أفلا ينظرون إلى الإبل التي هي غالب مواشيهم وأكبر ما يشاهدونه من المخلوقات) (٢) .

المطلب الخامس

المعنى العام

سورة الغاشية - الآية : ١٧

قال تعالى : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) (٣) .

قال الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي :

(أقام الله تعالى الحجة في آيات كثيرة على منكري قدرته على بعث الأجساد ، بأن حدد لهم مواضع العبرة في مخلوقاته ، ولفَّت أنظارهم إلى التأمل في المشاهد الحسية المحيطة بهم ، من عظمة السماء وعلوها ، وما فيها من كواكب عظيمة ، والأرض وما تشتمل عليه من سهول وبقاع مسطحة ، يسهل الانتفاع بها والعيش عليها ، والجبال الثوابت الراسخات فوقها لتثبيتها ، والحيوانات ذات الأحجام المتفاوتة من الإبل الكبيرة إلى الزلاحف الصغيرة ، فمن خلق هذه الأشياء وغيرها ، فهو القادر على خلق الناس مرةً أخرى وإعادتهم أحياءً للحساب والجزاء ، كما يتضح في هذه الآيات :

١ (تفسير التحرير والتنوير - ابن عاشور ٣٠ / ٢٦٩ - ٢٧٠ .

٢ (تفسير فتح القدير - الإمام الشوكاني ٢ / ٩٩١ .

٣ (سورة الغاشية - الآية : ١٧ .





(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ @ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ @ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ @ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ @ فَذَكَرْنَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ @ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ @ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ @ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ @ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ @ ثُمَّ لَنْ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ) (١) .

ثم يضيف الدكتور وهبة الزحيلي قوله :

(هذه طائفة من الأدلة على وجود الله ووحدانيته وقدرته ، على الناس أن ينظروا فيها ، ويتأملوا بعجيب خلقها ، ليهتدوا إلى الإيمان باليوم الآخر . كيف يصح للمشركين إنكار البعث واستبعاد وقوعه ؟ وهم يشاهدون الإبل التي هي غالب مواشيهم وأكبر مخلوقاتهم في بيئتهم ، كيف خلقها الله على هذا النحو البديع ، من عظم الجثة وقوة الجسد ، وجمال الوصف ، فهي خلق عجيب ، وتركيب غريب) (٢) .

وأما قوله تعالى (أَفَلَا يَنْظُرُونَ).

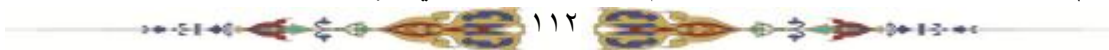
قال الإمام السخاوي رحمه الله : (نظر اعتبار) (٣) .

وقال الإمام محمد بن أسعد العراقي رحمه الله : (يعني كفار مكة) (٤) ، ثم يضيف رحمه الله قوله :

(وإلى السماء) (٥) وإلى ما عدده سبحانه ليعتبروا فيؤمنوا وما يزيدهم إلا ضللاً (٦) .

وأما قوله تعالى : (إلى الإبل) قال الإمام الواحدي رحمه الله:

- ١ (سورة الغاشية - الآيات من : ١٧-٢٦ وانظر : التفسير الوسيط . الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ٣ / ٢٨٦٨ ..
- ٢ (التفسير الوسيط - الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ٣ / ٢٨٦٩ . وينظر : التفسير التربوي للقرآن الكريم - أنور الباز ٣ / ٥٥٠ .
- ٣ (تفسير القرآن العظيم - الإمام السخاوي ٢ / ٥٩٩ ، وينظر : تفسير الكشاف - الإمام الزمخشري ٤ / ٥٨٣ ، وتفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل - القاضي البيضاوي ٢ / ٥٩٢ ، وأيسر التفاسير - أبو بكر الجزائري ٥ / ٥٦٢ ، وصفوة التفاسير - الشيخ محمد علي الصابوني ٣ / ١٤٩٢ .
- ٤ (أسباب النزول والقصص الفرقانية . الإمام محمد بن أسعد العراقي ٢ / ٩٦٩ .
- ٥ (سورة الغاشية - من الآية : ١٨ .
- ٦ (أسباب النزول والقصص الفرقانية - الإمام محمد بن أسعد العراقي ٢ / ٩٦٩ .





ثم نبههم على عظيم من خلقه قد نلله لصغيرٍ ؛ ليدلّهم بذلك على توحيده (١) .

وقال الإمام الزمخشري رحمه الله : (خلقاً عجيباً دالاً على تقدير مُقَدَّرٍ شَاهِدًا بتدبير مدبرٍ) (٢)

قال الإمام ابن كثير رحمه الله :

(يقول تعالى أمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) (٣) فإنها خلق عجيب وتركيبها غريب ، فإنها في غاية القوة والشدة ، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل ، وتتقاد للقائد الضعيف ، وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل ، وكان شريح القاضي يقول: أخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ! أي كيف رفعها الله عز وجلّ عن الأرض هذا الرفع العظيم ، كما قال تعالى (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَتَبْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) (٤) و (وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ) (٥)

أي جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية لثلاث تميد الأرض بأهلها (٦) .

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله :

(قال العلماء : إنما خصّ الإبل من غيرها لأن العرب لم يروا بهيمة قط أعظم منها ، ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم ، ولأنها كانت أنفس أموالهم وأكثرها ، لا تفارقهم ولا يفارقونها ،

١ (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الإمام الواحدي ١١٩٧/٢ .

٢ (تفسير الكشاف - الإمام الزمخشري ٥٨٣/٤ .

٣ (سورة الغاشية - الآية : ١٧ .

٤ (سورة ق : الآية ٦ .

٥ (سورة الغاشية : الآية : ١٩ .

٦ (تفسير القرآن العظيم - الإمام ابن كثير ٤٧٠/٤ وينظر : معالم التنزيل . الإمام البغوي ٤ / ٤٨٠ ، ولباب

التأويل في معاني التنزيل . الإمام الخازن ٤ / ٤٢٢ ، والتفسير الوسيط . الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ٣ / ٢٨٦٩ ،

والأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (تفسير القرآن) . محمد عمارة ٥ / ٣٩٥ . وكلام القاضي شريح ينظر في

: تفسير مجاهد . الإمام مجاهد بن جبر المكي : ٧٥٤ ، وتفسير جامع البيان . الإمام الطبري ١٥ / ٢٠٦ ، وتفسير

الكشاف . الإمام الزمخشري ٤ / ٥٨٣ . ٥٨٤ .



فيلاحظونَ فيها العبر الدالة على فُدرة الخَالِقِ ، من إخراج لبنها من بين فَرْثٍ ودم ، ومن عجب خلقها ، وهي على عِظْمها مُدَلَّلةٌ للحمل الثقيل ، وتتفاد للصبي الصغير ، وليس في ذوات الأربع ما يُحمل عليه وقره وهو بارك فيطبق النهوض به سواها (١) .

وقال الإمام البيهقي رحمه الله :

(قال الكلبي : لأنها تهض بحملها وهي باركة . وسئل الحسن عن هذه الآية ، وقيل له : الفيل أعظم في الأعجوبة ؟ فقال أما الفيل فالعرب بعيدة العهد بها ، ثم هو خنزير لا يُركب ظهرها ولا يؤكل لحمها ولا يُحلب درها ، والإبل من أعز مال للعرب وأنفسها ، تأكل النوى والقت وتخرج اللبن) (٢) .

وقال الإمام الخازن رحمه الله :

(ومنها أنها فضلت على سائر الحيوانات بأشياء ، وذلك أنَّ جميع الحيوانات إنما تقنتى إما للزينة أو للركوب ، أو للحمل ، أو للبن ، أو لأجل اللحم ، ولا توجد جميع هذه الخصال إلا في الإبل ، فإنها زينة ، وتُركب فيقطع عليها المفازات البعيدة ، وتحمل الثقيل ، وتحلب الكثير ، ويأكل من لحمها الجم الغفير ، وتصبر على العطش عدة أيام ،..... ومنها أنها ترعى في كل نبات في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوانات ، وهي سفن البر يحمل عليها الثقيل ، ويقطع عليها المفاز البعيدة) (٣) .

وقال الإمام ابن عباس رضي الله عنهما :

(قوتها وشدتها تقوم بحملها ولا يقوم غيرها (٤) ، ثم تبرك حتى تُركب أو يحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطاطي للمؤمن كما يطاطيء الإبل) (١) .

١ (تفسير زاد المسير - الأمام ابن الجوزي ٢٥٢/٨ ، وينظر : معالم التنزيل - الإمام البيهقي ٤٨٠/٤ ، وتفسير لباب التأويل في معاني التنزيل - الإمام الخازن ٤٢١/٤ .

٢ (تفسير معالم التنزيل - الإمام البيهقي ٤٨٠/٤ ، وينظر : تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل - الإمام الخازن ٤٢١/٤-٤٢٢ ، وتفسير فتح القدير - الإمام الشوكاني ٩٩١/٢ .

٣ (تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل - الإمام الخازن ٤٢٢/٤ .

٤ (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس - مجد الدين الفيروزآبادي : ٦٤٦ .



المطلب السادس

ما يستفاد من الآية

سورة الغاشية - الآية: ١٧

١- (هذه السورة باعثة إلى التأمل والتدبر ، وإلى الرجاء والتطلع ، وإلى المخافة والتوجس ، وإلى عمل الحساب ليوم الحساب ، وهي تطوف بالقلب البشري في مجالين هائلين : مجال الآخرة وعالمها الواسع ، ومجال الوجود العريض المكشوف للنظر ، ثم تذكرهم بعد هاتين الجولتين بحساب الآخرة وسيطرة الله وحتمية الرجوع إليه في نهاية المطاف) (٢) .

(عندما يتأمل الإنسان في بديع خلق الإبل وكيف سواها الله عز وجل وهياها لأداء الوظيفة التي خلقها لها ، لقد أعطى الله الإبل الصورة الخلقية التي تلائم عيشته وأسفاره الطويلة في الصحراء ، فلماذا خلق الجمل برقبة طويلة تتأى بعينه عن غبار الرمال ، كما منح شفة مشقوقة يستطيع أن يتناول بها أشواك البوادي دون أن تؤذيه ، وأعطى سناماً يخترن فيه الدهن إن أعوزه الطعام يوماً في الصحاري القاحلة ، ولم تنته رجليه بحافر يغوص في الرمال كحوافر الخيل والبعال والحمير بل انتهت بخف يقدر به على اجتياز الرمال دون أن يغوص فيها ، ولهذه الامتيازات الربانية سمي ب : (سفينة الصحراء) لم يحظ أي نوع من الأنعام بهذه الإشارة القرآنية المتدبرة التي توجه نظر الإنسان إلى خلق الإبل وتفردا بمزايا خاصة ولهذا يجب أن يتفكر فيها الإنسان ويتعلم منها ويستفيد بها ، فهي تؤدي دوراً اقتصادياً واجتماعياً ويعتمد عليه البدو اعتماداً يكاد يكون كلياً في معظم ضرورات حياتهم .ومن عجائب هذا الحيوان أنه ذكي

١ (تفسير مدارك التنزيل - الإمام النسفي ٣٥٢/٤ .

٢ (التفسير التربوي للقرآن الكريم - أنور الباز ٥٤٩/٣ ، وينظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - أبو بكر جابر الجزائري ٥٦٣/٥ .



فهو يستطيع أن يعرف الأماكن التي شرب منها ولو لمرة واحدة ، وكذلك يعرف الطرق التي يسلكها ولو للمرة الأولى . حتى أن الرعاة إذا لم يعرفوا الطريق وصلوا في الصحارى المهلكة ، فأنهم يتركون إبلهم تسير لوحدها دون أن يرغموها على الذهاب إلى جهة معينة فتدلمهم إلى مضاربهم .

كما إن الإبل تستطيع معرفة الأماكن التي تسقط عليها الأمطار من رائحة الرطوبة فتتجه إليها ، ومن ذكاء الجمل أنه يعرف مكان ولادته ويحن إليه دائماً وهو من المحبين إلى وطنه فسبحان من ألهمه ذلك . ويبقى الجمل ذلك الحيوان الوديع ، سهل الانقياد صبور عند المرض ، يستحسن المعاملة الطيبة ، ويستجيب للمداعبة لكنه يتوحش إذا أهملوا في هذه الحالة يجب الحذر منه ، والإبل سريعة الغضب متقلبة المزاج وعند استنارتها تخرج أصواتاً تشبه الزمجرة . ومن السلوكيات التي تتمتع بها الإبل أنها نادراً ما تلجأ لعملية الانتقام في حالة سوء معاملتها أو ظلمها ، وإذا ما نوى الجمل على الانتقام فإنه يخطط ويرتب لذلك جيداً ، فهو يُهاجم الشخص إذا كان غافلاً وأعزلاً من السلاح ويتخذ الجمل كل أسلحته من عضٍ وضرب بالأرجل وقد يقذف بالشخص إذا كان راكباً على ظهره ويرميه على الأرض ويبرك عليه ، إنها العزة التي غرزت فيه ، فحذار من إهانته ، وسبحان من قال : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) (١) .

٢- (على المسلم أن يتفكر فيما حوله من الكون ، حتى تتحرك الروح نحو خالقها) (٢) .

٣- (على العلماء أن يعظوا الناس بالحسنى وألا يجبروا الناس على الإيمان لأن الهداية من عند الله) (٣) .

٤- (تقرير البعث والجزاء بالدعوة إلى النظر إلى الأدلة الموجبة للإيمان به) (٤) .

قال الشيخ محمد طه الباليساني رحمه الله :

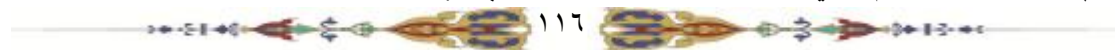
١ (سورة الغاشية - الآية : ١٧ ، وأنظر: مجلة العين - العدد الأول - السنة الأولى - كانون الأول - ٢٠٠٣

م - بحث بعنوان : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) : ٤ .

٢ (التفسير التربوي للقرآن الكريم -أنور الباز ٣/ ٥٥٠ .

٣ (التفسير التربوي للقرآن الكريم - أنور الباز ٣/ ٥٥٠ .

٤ (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - أبو بكر جابر الجزائري ٥/ ٥٦٣ .





(ليس المراد بالنظر في هذه الأشياء مجرد النظر والرؤية بالعين فإن ذلك يشترك فيها الإنسان والبهائم ، بل للنظر درجات ، فالنظر بالعين ثم الكشف والتحليل فالأمر بالنظر في كيفية خلق الإبل بالنسبة للعالمي هو أن ينظر إليها وإلى جسمها وقوتها في الحَمَل وغير ذلك ، بالنسبة للخاصة هو تشريح جسمها ليدرك ما فيها من عظم وعصب ورباط ، وكيف ربط بعضها ببعض ، وما يجيء عليها من أمراض وما يفيدها من علاج فيكون هذا أمراً بتعلم الإنسان علم تشريح الأبدان لتعلم الطب وعلاج الأمراض والوقاية منها)^(١) .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله :

(فهل أن لهؤلاء الذين يزعمون أنهم يؤمنون بالله ووعده ووعيدِه أن يعتبروا بهذا الترتيب الإلهي ، وأن يقدموا الإحسان في العمل حتى يبلغوا فيه غاية يرضون سعيهم عندها ، وأن يبدأوا بتنزيه أقوالهم عن اللغو ، وأنفسهم عن اللهو بما تلهوا به الحيوانات من طعامٍ وشرابٍ ؟

ثم بعد أن يلبسوا من الفضائل أفضل حللها ، يتناولون من نعمة الله ما يرفعهم ، ويطيب عيشهم ، ويتمتعون بذلك المتاع الحسن .

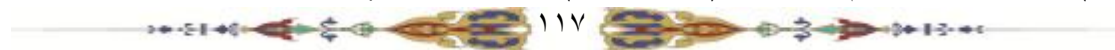
هل أن لهم أن يتدبروا كتابهم ، وأن يرجعوا إلى سيرة نبيهم ، فينهضوا إلى طلب ما أعدَّ الله لهم ، ولا يرتكسوا فيما أركسَ الله فيه الأمم قبلهم ؟)^(٢)

٥- بيان مدى الإعجاز العلمي في علم الحيوان .

(علم الحيوان هو العلم الذي يُعنى بدراسة الحيوانات دراسة علمية في جميع ما يتعلق بها من وصف أجسامها وطبائعها ومنافعها .والحيوان أشرف المخلوقات بعد الإنسان في الأرض لا متلاكه حواس الإنسان نفسها ، وفي القرآن الكريم آيات عديدة تتعلق بعالم الحيوان ، وهذه الآيات تتطلب منا الملاحظة الدقيقة مع مقارنة ما يقول العلم الحديث بخصوص هذه الحيوانات

(١) تفهيم الأمة تفسير جزء عمّ - الشيخ محمد طه الباليساني : ١٦٠ .

(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (تفسير القرآن) - محمد عمارة ٣٩٥/٥ .





، لأن الله سبحانه وتعالى أشار إشارة واضحة إلى التأمل في خلق هذه الحيوانات لما فيها من دقة الخلق (١).

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله :

(الذي يليق بأولي الأبواب إعمال العقول وراء المجهول حتى تستبينه !

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) (٢) .

والاستفهام بكيف دعوة ممتدة للعقل الإنساني أن يبحث ويُحاول استكشاف الكون بما فيه من نباتٍ وجمادٍ ...

وقد عاتبنا أسلافنا على هجرهم للفلسفة القرآنية الدراسة للمادة ، وانشغالهم بالفلسفة اليونانية الباحثة في التصورات والأوهام وإن كان من آباءنا من سدَّ الخُلة ، لكنهم للأسف قلة (٣).

٦. ومن الجدير بالذكر أن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم قد شبه الناس بالإبل (..... فغن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تجدون الناس كالإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلةً) (٤) .

قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث :

(قال ابن قتيبة : الراحلة النجيبة المختارة من الإبل للركوب وغيره ، فهي كاملة الأوصاف فإذا كانت في ابل عرفت .

(١) التفسير العلمي للقرآن الكريم - صلاح عبد علي : ٢١٤ ، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس جامعة بغداد - كلية الشريعة - مطبوعة على الآلة الكاتبة - ١٩٨٧ م .

(٢) سورة الغاشية - الآية : ١٧ .

(٣) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم - الشيخ محمد الغزالي : ٥١٥ .

(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" ١٦/ ٩٥ (٢٥٤٧) (٢٣٢) باب قوله صلى الله عليه وسلم : (الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلةً) .





قال : ومعنى الحديث أن الناس متساوون ليس لأحد منهم فضل في النسب ، بل هم أشباه كالأبل المائة .

وقال الأزهري : الراحلة عند العرب الجمل النجيب والناقة النجيبة . قال : والهاء فيها للمبالغة كما يقال : رجل فهامة ونسابة .

قال : والمعنى الذي ذكره ابن قتيبة غلط ، بل معنى الحديث أن الزاهد في الدنيا الكامل في الزهد فيها والرغبة في الآخرة قليل جداً كقلة الراحلة في الإبل ، هذا كلام الأزهري ، وهو أجود من كلام ابن قتيبة ، وأجود منهما قول آخرين أن معناه المرضي الأحوال من الناس الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوي على الأحمال والأسفار . سميت راحلة لأنها ترحل أي يجعل عليها الرجل فهي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية أي مرضية ونظائره (١) .

الخاتمة

بعد المطاف في البحث وصلت إلى الخاتمة والتي أسجلُ فيها أهم ما توصلتُ إليه في البحث من نتائج وعلى النحو الآتي :

١- وردت لفظة الإبل في القرآن الكريم مرتين ، مرة في سورة الأنعام ، والأخرى في سورة الغاشية ، ووردت ضمناً في سورة الزمر بلفظ (شَائِيَةَ أَزْوَاجٍ) ومن ضمن هذه الأزواج المذكورة : الإبل .

٢- من العلماء من فسّر الإبل التي وردت في سورة الغاشية بالأسحبة طلباً للمناسبة في السير وفي النشاط أيضاً ، وهذا الرأي خلاف ما ذكره أهل التفسير واللغة .

٣- في آية سورة الأنعام وجدت أنها تدل على مشروعية المناظرة في العلم لأن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بأن يناظر المشركين ويبين لهم فساد قولهم واعتقادهم .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ / ٩٦ عقيب الحديث رقم (٢٥٤٧) (٢٣٢) .



٤- في آية سورة الزمر دلالة واضحة على أن نعلم فضل الله سبحانه وتعالى على العباد في خلقهم ورزقهم ، كما أنها تحث على الإيمان بغنى الله سبحانه وتعالى عن خلقه ، وافتقار الخلق جميعهم إليه .

٥- أمّا آية سورة الغاشية فوجدتها باعثة إلى التأمل والتدبر ، وإلى الرجاء والتطلع ، وإلى المخافة والتوجس ، وإلى عمل الحساب ليوم الحساب .

كما أنها حثت المسلم على أن يتدبر ويتفكر فيما حوله من الكون ، حتى تتحرك الروح نحو خالقها وليس المراد بالنظر في هذه الآية مجرد النظر والرؤيا بالعين فأن ذلك يشترك فيها الإنسان والبهائم ، بل للنظر درجات ، فالنظر بالعين ثم الكشف والتحليل .

وبينت الآية كذلك الإعجاز العلمي في عالم الحيوان في جميع ما يتعلق به من وصف أجسامها وطبائعها ومنافعها .

فإنه سبحانه وتعالى قد أشار إشارة واضحة وصريحة إلى التأمل والتفكير والتدبر في خلق الإبل لما فيها من دقة في الخلق .

وبعد فهذا جهد المقل فأن أصبت فذلك بفضل الله سبحانه وتعالى علي وإن أخطأت فمني ومن الشيطان وأستغفر الله ، فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون .

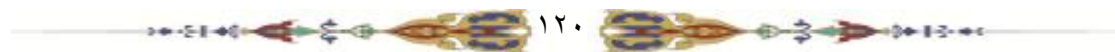
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلاماً على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم .

١- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (تفسير القرآن) - حققها وقدم لها :محمد عمارة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - لبنان - بيروت - ١٩٧٣ م .

٢- أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها (من غرائب آي التنزيل) - الإمام محمد بن أبو بكر بن عبد القادر الرازي - مراجعة أبو عبد الله مصطفى بن العدوي - مكتبة الفياض - مصر - تحقيق : أبو عبد الرحمن عادل شوشة - ٢٠٠٧ م .



- ٣- أساس البلاغة - الإمام جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - دار صادر - لبنان - بيروت - ط ١ - ١٩٩٢ م .
- ٤- أسباب النزول والقصص الفرقانية - الإمام محمد بن أسعد العراقي ٤٨٤ هـ - ٥٦٧ هـ - دراسة وتحقيق الدكتور عصام احمد أحمد غانم - مكتبة الرشد - المملكة العربية السعودية - الرياض - ط ١ - ٢٠٠٧ م - رسالة ماجستير .
- ٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت ٦٨٥ هـ - دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت - ط ٣ - ٢٠٠٦ م .
- ٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - أبو بكر جابر الجزائري . مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ط ٥ - ٢٠٠٣ م .
- ٧- بدع التفاسير - لأبي الفضل عبد الله محمد الغماري الحسني الإدريسي . مكتبة القاهرة - دار الطباعة المحمدية - ط ١ - مصر - القاهرة - ١٩٦٥ م .
- ٨- بصائر الحق في سورة الأنعام - للأستاذ عبد الحميد محمود طهماز - دار القلم - دمشق - الدار الشامية - بيروت - ط ١ - ١٩٩٠ م .
- ٩- التحرير والتتوير المعروف بتفسير ابن عاشور - للشيخ محمد الطاهر بن عاشور . مؤسسة التاريخ العربي - لبنان - بيروت - ط ١ - ٢٠٠٠ م .
- ١٠- التسهيل لعلوم التنزيل - للإمام العلامة الحافظ محمد بن أحمد بن جزي الكلبى - دار الكتاب العربي - لبنان - بيروت - لم تذكر سنة الطبع .
- ١١- التشبيهات القرآنية والبيئة العربية - واجدة مجيد الاطرجي - الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والفنون - دار الحرية للطباعة - بغداد - ١٩٧٨ م .
- ١٢- تصور الإلهية كما تعرضه سورة الأنعام - الدكتور ابراهيم زيد الكيلاني - عمان - الأردن - مكتبة الأقصى - ط ١ - ١٩٨١ م .

١٣- التفسير التربوي للقرآن الكريم - أنور الباز - دار النشر للجامعات - مصر - دار حزم
- ٢٠٠٧م.

١٤- التفسير العلمي للقرآن الكريم - صلاح عبد علي - رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس
كلية الشريعة - جامعة بغداد - ١٩٨٧ م - مطبوعة على الآلة الكاتبة .

١٥- تفسير القرآن العظيم - الإمام أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي - دار الكتب العلمية
- لبنان - بيروت - ط ١ - ١٩٩٩م.

١٦- تفسير القرآن العظيم - الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين
السخاوي المصري ت ٦٤٣ هـ - تحقيق وتعليق : الدكتور موسى علي موسى مسعود
والدكتور أشرف محمد عبد الله القصاص - دار النشر للجامعات . مصر - القاهرة -
٢٠٠٩ م .

١٧- تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم) - الإمام أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن
ابراهيم السمرقندي ت ٣٧٥ هـ - دراسة وتحقيق الدكتور عبد الرحيم احمد الزقة - طبع
بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري - الجمهورية العراقية
- مطبعة الإرشاد - بغداد - ١٩٨٥م - أطروحة دكتوراه.

١٨- التفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب) - الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن
الحسن بن علي التميمي البكري الرازي ٥٤٤ هـ - ٦٠٤ هـ - دار الكتب العلمية - لبنان -
بيروت ط ٣ - ٢٠٠٩ م .

١٩- تفسير مجاهد - الإمام المحدث أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي -
قدم له وحققه وعلق حواشيه : عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي - طبع على نفقة
صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني - أمير دولة قطر - ط ١ - مطابع الدوحة
الحديثة - الدوحة - قطر - ١٩٧٦ م .

٢٠- التفسير الوسيط - الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي - دار الفكر المعاصر - لبنان -
بيروت - دار الفكر - دمشق - سوريا - ط ٢ - ٢٠٠٦ م .

- ٢١- تفهيم الأمة تفسير جزء عمّ - محمد الشيخ طه الباليساني - ساعدت اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري على طبعه - مطبعة شفيق - بغداد - ١٩٨٥ م.
- ٢٢- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس - جمعه - محب الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت ٨١٧ هـ - دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت . ط ٣ - ٢٠٠٨ م .
- ٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ - دار ابن حزم - دار الإعلام - الأردن - بيروت - ط ١ . ٢٠٠٢ م .
- ٢٤- الحجة في القراءات السبع - ابن خالويه - تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم - طبعة دار الشروق - ١٣٩٧ هـ .
- ٢٥- ديوان الحماسة . أبو تمام - لبنان - بيروت - لم تذكر سنة الطبع .
- ٢٦- ديوان عنتره - دار صادر - لبنان . بيروت - لم تذكر سنة الطبع .
- ٢٧- زاد المسير في علم التفسير - الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧ هـ - دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت - ط ٣ - ٢٠٠٩ م .
- ٢٨- شرح النووي على صحيح مسلم . الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ٦٣١ هـ . ٦٧٦ هـ . مكتبة الصفا . مصر . القاهرة . ط ١ . ٢٠٠٣ م .
- ٢٩- صحيح البخاري - المسمى : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه - الإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ت ٢٥٨ هـ - تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة - مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - ط ١ - ١٤٢٢ هـ .
- ٣٠- صحيح مسلم - الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ت ٢٦١ هـ - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي . لبنان - بيروت - لم تذكر سنة الطبع، وكذلك طبعة مكتبة الصفا . مصر . القاهرة . خرج أحاديثه : محمد بن عيادي بن عبد الحليم . ط ١ . ٢٠٠٣ م .

- ٣١- صفوة التفاسير - خادم الكتاب والسنة الشيخ محمد علي الصابوني - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ٢٠٠٩ م .
- ٣٢- غريب القرآن - الإمام محمد بن عزيز أبو بكر السجستاني العزيزي - تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة - منشورات أخبار اليوم - قطاع الثقافة - مصر - القاهرة - ٢٠٠٣ م .
- ٣٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ - دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت - ط ٣ - ٢٠٠٧ م .
- ٣٤- في ظلال القرآن . الأستاذ الشهيد سيد قطب - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان . ط ٥ - ١٩٦٧ م .
- ٣٥- الكافي في القراءات السبع - الإمام أبو عبد الله محمد بن شريح الرعي الأندلسي ت ٤٧٦ هـ - تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعي - دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت - ط ١ - ٢٠٠٠ م .
- ٣٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - الإمام أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - شرحه وضبطه وراجعه يوسف الحمادي - مكتبة مصر - دار مصر للطباعة - لم تذكر سنة الطبع .
- ٣٧- أبواب التأويل في معاني التنزيل - الإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ت ٧٢٥ هـ ضبطه وصححه : عبد السلام محمد علي شاهين - دار الكتب العلمية . لبنان . بيروت . ط ١ . ٢٠٠٤ م .
- ٣٨- لباب النقول في أسباب النزول . الإمام جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ . تحقيق حامد أحمد الطاهر . دار الفجر . مصر . القاهرة . ٢٠٠٧ م .
- ٣٩- مجلة العين - العدد الأول - السنة الأولى - كانون الأول - ٢٠٠٣ م - بحث بعنوان : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) .
- ٤٠- مختار الصحاح - محمد بن أبو بكر بن عبد القادر الرّازي ت ٦٦٦ هـ - دار الرسالة - الكويت - ١٩٨٢ م .

- ٤١- مدارك التنزيل وحقائق التأويل - الإمام الجليل العلامة أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي - دار الكتاب العربي - لبنان - بيروت - لم تذكر سنة الطبع .
- ٤٢- معالم التنزيل - الإمام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ت ٥١٦ هـ تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار - دار المعرفة - لبنان - بيروت - ط ٥ - ٢٠٠٢ م .
- ٤٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي . منشورات ذوي القربى . ط ٢ . ١٩٨٨ م .
- ٤٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون - مؤسسة الرسالة - ط ٢ - ١٩٩٩ م .
- ٤٥- المفردات في غريب القرآن - الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالزأغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ - ضبط : هيثم طعيمة - دار إحياء التراث العربي - لبنان - بيروت - ط ١ - ٢٠٠٨ م .
- ٤٦- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم - المرحوم الشيخ محمد الغزالي - دار العلم للملايين - لبنان - بيروت - ١٩٨٥ م .
- ٤٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . الإمام برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي ت ٨٨٥ هـ . خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه : عبد الرزاق غالب المهدي . دار الكتب العلمية . لبنان . بيروت . ط ٣ . ٢٠٠٦ م .
- ٤٨- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ت ٤٦٨ هـ - تحقيق : صفوان عدنان داوودي - دار القلم - دمشق - دار الشامية - بيروت - ط ١ - ١٩٩٥ م .